

تنصيب باراك أوباما الرئيس الرابع والأربعين للولايات المتحدة
الرئيس الجديد يقول "إننا نحتشد سوية اليوم لأننا اختنا الأمل وليس الخوف"

وواشنطن-أمام جموع هائلة نيفت على مليوني نسمة غص بها المرج القومي قبلة مبني الكونغرس، أقسم باراك أوباما اليمين الدستورية ليصبح بذلك الرئيس الرابع والأربعين للولايات المتحدة. ثم ألقى أوباما خطاب التنصيب متوجهًا بالمشروع فوراً في "إعادة صنع أميركا". وفي حين أقر الرئيس الجديد بجسامته التحديات والأزمات المتعددة التي تحيق الآن بالأمة الأميركية فيما تخوض حربين في الخارج واعتلاجاً اقتصادياً طاحناً في الداخل فإنه أعلن في خطابه انبثاق "عصر جديد من المسؤولية" يحمل في طياته وعداً بمستقبل باهر.

وأوضح أوباما ذلك بقوله: " سنبني الطرق والجسور وشبكات توزيع الكهرباء والخطوط الرقمية التي تغذي تجارتنا وترتبط فيما بيننا . سنعيد للعلم مكانه الصحيح، ونستخدم عجائب التكنولوجيا لرفع نوعية الرعاية الصحية وتخفيف الكلفة. سنسرّع طاقة الشمس والرياح والتربة لتزويـد سياراتنا بالوقود وإدارة مصانـعنا . وسنغيـر مدراسـنا وكلـياتـنا وجامـعاتـنا كـي تلـبي مـطالب العـصر الجـيد . كلـ هـذا نـستطيع عملـه . وكلـ هـذا سـنعملـه ."

وتضمن خطاب التنصيب لفترة ودية نحو العالم الإسلامي حينما قال أوباما: " وبالنسبة إلى العالم الإسلامي، إننا ننشد طريقاً جديداً إلى الأمام، يرتكز على المصلحة المتبادلة والاحترام المتبادل". كما شدد الرئيس الجديد على أن أميركا تستمد قوتها من تنوع شعبها. وقال في هذا الصدد: " ذلك أنـ نـعلم بـأنـ تـراـثـنا الفـسيـفـسـائـيـ المتـنـوـعـ هو مصدر قـوـةـ، وـليـسـ ضـعـفـ. إنـ دـولـةـ مـنـ مـسـيـحـيـيـنـ وـمـسـلـمـيـيـنـ، وـمـنـ يـهـودـ وـهـنـدـوـسـ وـأـنـاسـ غـيرـ مـؤـمـنـيـنـ. وقد صـاغـتـنا كلـ لـغـةـ وـ ثـقـافـةـ، مـسـتـمـدـةـ مـنـ كـلـ رـكـانـ هـذـهـ الـأـرـضـ".

في ما يلي نص الخطاب:

الرئيس باراك أوباما

خطاب التنصيب

الثلاثاء 20 كانون الثاني/يناير 2009

الرئيس أوباما: إخواني المواطنين،

أقف هنا اليوم متواضعا أمام المهمة التي تنتظرنا، ممتن للثقة التي أنعمتم بها علي ، واعيا التضحيات التي تحملها أسلافنا . وأقدم الشكر للرئيس بوش على خدماته لبلدنا وعلى الكرم والتعاون اللذين أبداهما طيلة الفترة الانتقالية.

أربعة وأربعون أميركياً أدوا حتى الآن يمين الرئاسة . وقد ترددت تلك الكلمات خلال ارتفاع موجات الرخاء وسكون مياه السلام . لكن اليمين أديت أيضا في غمرة من تلبد الغيوم والأعاصير العاتية . وقد تمكنت أميركا في تلك الأوقات من المضي والاستمرار لا لمجرد مهارة ورؤيا أولئك الذين تبوفوا المناصب الرفيعة ، بل لأننا ، نحن الشعب ، بقينا مخلصين لمثل أسلافنا وأمينين على وثائق تأسيس بلادنا .

هكذا كان ، وهكذا يجب أن يكون مع هذا الجيل من الأميركيين .

صحيح أننا نمر الآن فعلا في خضم أزمة . فبلادنا في حرب ضد شبكة متaramية الأطراف من العنف والبغضاء . والاقتصاد في حالة من الضعف والوهن الشديدين نتيجة لجشع ولا مسؤولية البعض ، ولإخفاقنا الجماعي أيضا في اتخاذ الخيارات

الصعبة وإعداد الشعب لهذا العهد الجديد. فُقدت بيوت، وتقلصت أعمال ووظائف وأغلقت مؤسسات تجارية. ونظامنا الصحي مكلف جداً. مدارسنا تفشل بأعداد مفرطة، وكل يوم يجلب معه مزيداً من الدلائل على أن الطريقة التي نستخدم بها الطاقة تقوّي خصومنا وتهدد كوكبنا الأرضي.

هذه مؤشرات أزمة طبقاً للبيانات والإحصائيات. وهناك استنزاف للثقة عبر بلادنا ليس أقل شدة وإن كان أقل تحديداً - وهو الخوف الملح من أن انحسار أميركا لا رجعة فيه وأنه، يجب على الجيل القادم أن يخوض أهدافه.

واليوم أعلن لكم أن التحديات التي نواجهها حقيقة. وهي خطيرة وكثيرة. ولا يمكن مواجهتها بسهولة أو في فترة قصيرة من الزمن. ولكن فلتعلم أميركا هذا - إننا سنواجهها.

إننا نحتشد في هذا اليوم لأننا اختربنا الأمل بدلاً من الخوف، ووحدة الهدف بدلاً من النزاع والخلاف.

ولقد أتينا اليوم كي نعلن انتهاء الشكوى التافهة والوعود الكاذبة، والاتهامات والعقائد البالية التي خنقـت سياساتنا زماناً طويلاً.

نحن لا نزال أمة فتية، لكن كلمات الكتاب المقدس تدعونا إلى أنه قد آن الأوان كي ننحي جانباً الأمور الصبيانية. لقد آن الأوان لتجديد روحنا الدائمة، لكي نختار تاريخنا الأفضل، كي نحمل عطيتنا الثمينة ونمضي سائرين بها إلى الأمام، تلك هي الفكرة النبيلة التي انتقلت من جيل إلى جيل: وهي ما وعدنا الله أن نكون كلنا متساوين، كلنا أحراراً، كلنا مستحقاً فرصـة كـي يسعـى في نشـدان أقصـى قدر من السـعادة.

إننا بإعادة التأكيد على عظمة بلادنا ندرك أن العظمة ليست إطلاقاً أمراً مسلماً به. فهي يجب أن تكتسب باستحقاق. فمسيرتنا لم تكن أبداً سلوك الطرق المختصرة أو الرضا بالقليل. وهي لم تكن سبيل خائري العزم - أولئك الذين يفضلون أوقات الفراغ والراحة على العمل، أو يسعون في سبيل الاستمتاع بالغنى والشهرة. إنها مسيرة المغامرين بالمخاطر، والفاعلين، وصانعي الأمور - بعضهم مشهور ولكنهم في الغالب رجال ونساء مغمورون في عملهم، هم الذين مضوا بنا على الطريق الطويل الوعر نحو الرخاء والحرية.

فهم من أجلانا حزموا متاعهم الدنيوي القليل ورحلوا عبر المحيطات بحثاً عن حياة جديدة.

هم من أجلانا كدّوا في المعامل المعرقة (المحال الصغيرة المكتظة في ظروف سيئة) واستقروا في الغرب وتحملوا جلد الأسواط وحرثوا الأرض الجامدة.

من أجلانا حاربوا وماتوا في أمكنته مثل كونكورد وغيسيبيرغ ونورماندي وخلي سان (فيتنام).

مراها وتكراراً حارب أولئك الرجال والنساء وضحوا وعملوا حتى كلّت أيديهم وتقرّحت كي نعيش نحن حياة أفضل. نظروا إلى أميركا على أنها أكبر من طموحاتنا الفردية وأعظم من كل فوارق المولد والثروة والطائفة.

هذه هي المسيرة التي نواصلها نحن اليوم. فنحن أكثر الدول ازدهاراً وقوّة على وجه الأرض. وعمالنا ليسوا الآن أقل إنتاجاً مما كانوا عندما بدأت الأزمة. وعقولنا ليست

أقل ابتكارا، وسلعنا وخدماتنا ليست أقل حاجة إليها مما كانت في الأسبوع الماضي أو الشهر الماضي أو السنة الماضية. فقدرنا ما زالت كما هي دون نقصان. لكن زمن التشبت بآرائنا وحماية مصالحنا الضيقة وتأجيل اتخاذ القرارات الأليمة - ذلك الوقت لا شك قد ولّى. فابتداء من اليوم، يجب علينا أن ننهض وننفخ عنا الغبار ونبذ العمل من جديد لنعيد صنع أميركا.

فأينما نظرنا، هناك عمل ينتظر أداءه. الوضع الاقتصادي يدعو إلى العمل الشجاع السريع، وسنعمل - لا على ملء وظائف جديدة وحسب، بل وعلى وضع أساس جديد للنمو. سنبني الطرق والجسور وشبكات توزيع الكهرباء والخطوط الرقمية التي تغذي تجارتنا وترتبط فيما بيننا. سنعيد للعلم مكانته الصحيحة، ونستخدم عجائب التكنولوجيا لرفع نوعية الرعاية الصحية وتخفيف الكلفة. سنسرّع طاقة الشمس والرياح والتربة لتزويد سياراتنا بالوقود وإدارة مصانعنا. وسنغير مدراسنا وكلياتنا وجامعاتنا كي تلبي مطالب العصر الجديد. كل هذا نستطيع عمله. وكل هذا سنعمله.

هناك الآن من يشككون في مدى طموحاتنا - من يوحون بأن نظامنا لا يحتمل خططاً كبيرة كثيرة. لكن ذاكرتهم قصيرة. فهم نسوا ما قد حققه هذا البلد بالفعل، وما يمكن أن يحققه الرجال والنساء الأحرار عندما يقترب الإبداع بالهدف المشترك، وتنتواء مع الحاجة مع الشجاعة.

إن ما يتحقق المتشككون في إدراكه هو أن الأرض قد انزلقت من تحتهم - أن المجادلات السياسية المموجة التي استحوذت علينا رديحا طويلا لم تعد قابلة. والسؤال الذي نطرحه اليوم لم يعد ما إذا كانت حكومتنا كبيرة أم صغيرة - بل هل هي فاعلة، وهل تساعد الأسر في العثور على عمل بأجور معقولة، ورعاية (صحية) يقدرون عليها، وتقاعد كريم. وحيث يكون الجواب بالإيجاب، ننوي أن نمضي قدما

إلى الأمام. وحيث يكون الجواب سلبا، ستكون نهاية البرنامج. وأولئك المسؤولون منا عن إدارة المال العام سيخضعون للمحاسبة - على الإنفاق بحكمة، وتقويم العادات السيئة، والقيام بعمل حكومتنا في وضح النهار - لأننا عندئذ فقط نستطيع استعادة الثقة الحيوية بين الشعب وحكومته.

وليس السؤال الذي يواجهنا هو ما إذا كانت السوق قوة خير أم شر. إنها قوة لا مثيل لها في توليد الثروة ونشر الحرية، لكن هذه الأزمة ذكرتانا بأن السوق بدون عين ساهرة يمكن أن تتطرق في دووامة بدون ضابط - وأن البلد لا يمكن أن تزدهر طويلا إذا كانت تحابي الأثرياء فقط. إن نجاح اقتصادنا لم يعتمد دائما على مجرد حجم إجمالي إنتاجنا المحلي وحسب بل وعلى مدى انتشار رخائنا وعلى قدرتنا على فتح الفرص أمام كل راغب مستعد - لا إحسانا، بل لأن ذلك هو السبيل الأكيد المؤدي إلى خيرنا المشترك.

وبالنسبة إلى دفاعنا المشترك، نحن نرفض الخيار بين سلامتنا ومثلنا العليا باعتباره شيئا زائفا. إن آباءنا المؤسسين، وقد واجهوا مخاطر لا نتصورها نحن إلا بشق النفس، كتبوا دستورا للتأمين حكم القانون وحقوق الإنسان، ميثاقا توسع بدم أجيال. وتلك المثل ما زالت تضيء العالم ولن نتخلى عنها من أجل الذرائع النفعية. وعليه، لجميع الشعوب والحكومات الأخرى التي ترافق اليوم، من أعظم العواصم إلى القرى الصغيرة حيث ولد أبي أقول: أعلموا أن أميركا صديق لكل دولة وكل رجل وامرأة وطفل ينشد مستقبلا من السلام والكرامة، وأننا مستعدون لتولي القيادة مرة أخرى.

تذكروا أن الأجيال الماضية تصدت للفاشية والشيوعية، ليس بالصواريخ والدبابات، بل بتحالف قوي وقناعات راسخة. إنها أدركـت بأن قوتـنا وحدـها لا تستـطيع أن تـحمـينا ولا هي تـخلـونـا أن نـعملـ ما نـريدـ. إنـها عـلـمتـ، عـوـضاـ عـنـ ذـلـكـ، أـنـ قـوـتناـ تـنـمـواـ عـبـرـ استـعـمالـها بـحـكـمـةـ؛ وـأـنـ أـمـنـاـ يـبـعـثـ مـنـ عـدـالـةـ قـضـيـتـاـ، وـقـوـةـ مـثـلـاـ وـشـيمـ التـواـضـعـ وـضـبـطـ النـفـسـ.

ونحن أمناء على هذا التراث. وإذا نسترشد بهذه المبادئ مرة أخرى، نستطيع أن نواجه تلك التهديدات الجديدة التي تتطلب منا جهدا أعظم حتى من ذلك - وحتى تعاوننا وتفاهمـا

أكبر بين الدول. إننا سنبدأ بترك العراق لشعبه بروح من المسؤولية ، وسوف نصوغ سلاما تم تحقيقه بجهد بالغ في أفغانستان. وسنعمل مع أصدقاء وأخصام قدامى بلا ملل للإقلال من الخطر النووي وتقليل شبح كوكب متزايد الحرارة. وإننا لن نعتذر عن طريقة حياتنا، كما أننا لن نتردد في الدفاع عنها، ولاإلئذ الذين يسعون إلى تحقيق غيالياتهم عن طريق الإرهاب وذبح الأبرياء، نقول إنكم تعلمون أن روحنا أقوى ولا يمكن أن تكسر؛ ولن تستطعوا أن تصمدوا أكثر منا؛ وسوف نهزكم.

ذلك أننا نعلم بأن تراثنا الفسيفسائي المتنوع هو مصدر قوة، وليس ضعف. إننا دولة من مسيحيين ومسلمين، ومن يهود وهنود – وأناس غير مؤمنين. وقد صاغتنا كل لغة وثقافة، مستمدة من كل ركن من أركان هذه الأرض؛ ولأننا ذقنا الطعم المرير للحرب الأهلية والفصل العنصري، وخرجنا من ذلك الفصل المظلم أقوى وأكثر اتحادا، لا يسعنا إلا أن نؤمن بأن الكراهية لا بد وأن تزول يوما ما؛ وأن الخطوط القبلية سوف تندثر قريبا، وأنه إذ يصبح العالم أصغر حجما، فإن إنسانيتنا المشتركة سوف تتجلى؛ وأنه يتبعين على أميركا أن تلعب دورها في استئناف حقبة جديدة من السلام.

وبالنسبة إلى العالم الإسلامي، إننا ننشد طريقا جديدا إلى الأمام، يرتكز على المصلحة المتبادلة والاحترام المتبادل. وإلئذ القادة حول العالم الذين يسعون إلى زرع بذور النزاع، أو يحملون الغرب عل مجتمعاتهم، أقول – اعلموا أن شعبكم سيحكم عليكم على ما تستطيعون أن تبنوه، لا على ما تدمرونه. ولاإلئذ الذين يتمسكون بالسطة عن طريق الفساد والخديعة وإسكات الرأي المخالف أقول، اعلموا أنكم في الجانب الخاطئ من التاريخ؛ ولكننا سندأيدينا إليكم إذا كنتم مستعدين لأن ترخوا قبضتكم.

ولشعوب الدول الفقيرة، نتعهد بالعمل إلى جانبكم لجعل مزارعكم تزدهر وجعل المياه النظيفة تتدفق، وتغذية الأجسام الجائعة وإشباع العقول المتعطشة. ولتلك الدول الشبيهة ببلدنا التي تتمتع بوفرة نسبية، نقول لم يعد في استطاعتنا إلا نأبه للمعاناة خارج حدودنا؛ ولا أن نستهلك موارد العالم بدون اعتبار للنتائج. ذلك أن العالم قد تغير، ويجب أن نتغير معه.

وإذ نتأمل بالطريق الذي يتجلى أمامنا، نتذكر بامتنان متواضع أولئك الأميركيين الشجعان الذين، في هذه اللحظة بالذات، يقومون بدوريات في الصحاري البعيدة والجبال النائية. إن لديهم شيئا يقولونه لنا اليوم، مثلاً يهمس الأبطال الذين سقطوا وقد احتضنتهم آرلنغتون (المقبرة القومية)، عبر العصور. إننا نكرهم ليس فقط لأنهم حارسون لحريتنا، بل لأنهم يجدون روح الخدمة، والرغبة في ايجاد معنى في شيء أعظم منهم. ومع ذلك، في هذه اللحظة – وهي لحظة تميز جيلاً – هذه بالضبط هي الروح التي ينبغي أن تسكن فينا جميعاً.

ذلك أنه مهما استطاعت الحكمة أن تفعل، ويجب أن تفعل، فإنه في النهاية إيمان وتصميم الشعب الأميركي الذي تعتمد عليه هذه الدولة. إنه التراحم بأن تستضيف غريبًا عندما ينهر سد (ليغرق منزله)، وروح الإيثار لدى العمال الذين يفضلون أن تخفض أجورهم على أن يروا صديقاً يفقد عمله، هذه الشهامة التي تأخذ بيدنا في أحلال ساعاتنا. وهي شجاعة مكافح الحرائق الذي يقترب أذرعاً ملئاً بالدخان، ولكن أيضاً استعداد الآباء ل التربية طفل، التي في النهاية تقرر مصيرنا.

إن تحدياتنا قد تكون جديدة. وقد تكون الأدوات التي نتصدى لها بها جديدة. لكن تلك القيم التي يعتمد نجاحنا عليها – العمل الشاق والاستقامة، والشجاعة، والصدق والتسامح والفضول وحب الوطن – هذه أيضاً قيم عريقة. هذه الأشياء صحيحة. لقد كانت قوة التقدم الهدئة عبر تاريخنا. ما هو مطلوب إذن هو عودة إلى هذه الحقائق. ما هو مطلوب منا الآن هو حقبة جديدة من المسؤولية – إقرار من جانب كل أمريكي، بأن لدينا واجبات تجاه أنفسنا، ودولتنا، والعالم، واجبات لا تتقبلها على ماضٍ بل بكل طيبة خاطر، راسخين في معرفتنا بأنه ليس هناك ما هو مرض للروح، ومحدد لخلقنا، أكثر من بذلك كل ما في وسعنا من أجل تحقيق مهمة صعبة.

هذا هو الثمن وهذا هو وعد المواطنية.

هذا هو مصدر إيماننا – معرفة أن الله يهيب بنا أن نصوغ مصيرنا غير مؤكد.

هذا هو معنى حررتنا وعقيدتنا – عندما يستطيع رجال ونساء وأطفال من كل عنصر وعقيدة الاشتراك في الاحتفال عبر هذا الميدان الرائع، ولم إذا يستطيع الآن رجل ربما لم يكن والده قبل أقل من 60 عاماً قادراً على ارتياح مطعم محلي، يقف الآن أمامكم لأداء أقدس قسم.

فدعونا نحتفل بهذا اليوم بتذكر من نحن والمسافة التي قطعناها. في سنة ولادة أميركا، وفي الأشهر ببرداً، تجمع فريق صغير من الأشخاص المتعلقين بوطنهم حول نار توشك أن تنطفئ على شواطئ نهر متجمد. وكانت العاصمة قد هجرها سكانها. وكان العدو يتقدم. كان الثلج قد تلطخ بالدم. وفي لحظة بدت فيها ثورتنا تكتفها الشكوك، أمر مؤسس دولتنا أن تتنى هذه الكلمات لشعبنا:

"فليكن معلوماً للعالم مسبقاً أنَّه في خضم الشتاء القارس حيث لا يستطيع أن يعيش سوى الأمل والفضيلة... أنَّ المدينة والبلاد، التي أرعبها خطر مشترك قد خرجت للتصدِّي له".

أميركا: في وجه أخطارنا المشتركة، وفي شتاء مصاعبنا هذه، دعونا نتنكر هذه الكلمات التي لا يمحوها الزمن. بالأمل والفضيلة دعونا نتصدى مرة أخرى للتيارات الجليدية، ونتحمل أية عواصف يمكن أن تهب. وليرقل أحفادنا إننا عندما اخترتنا المحن رضينا أن تنتهي هذه المسيرة، وأننا لم نتراجع، ولا نحن تخاذلنا. وفيما تشخص أبصارنا نحو الأفق وقد حللت نعمة الله علينا، حملنا تلك العطية العظيمة من الحرية، وسلمناها بأمان لأجيال المستقبل.